

تفسير البحر المحيط

@ 8 @ ذال ذرية . وقرأ مجاهد أيضاً بفتحها . وعن زيد بن ثابت ذرية بفتح الذال وتخفيف الراء وتشديد الياء على وزن فعليه كمطيه . والظاهر أن الضمير في أنه عائد على نوح . قال سلمان الفارسي : كان يحمد □ على طعامه . وقال إبراهيم شكره إذا أكل □ قال : بسم □ ، فإذا فرغ قال : الحمد □ . وقال قتادة : كان إذا لبس ثوباً قال : بسم □ ، وإذا نزع قال : الحمد □ . وقيل : الضمير في أنه عائد إلى موسى انتهى . ونبه على الشكر لأنه يستلزم التوحيد إذ النعم التي يجب الشكر عليها هي من عنده تعالى ، فكأنه قيل كونوا موحدين شاكرين لنعم □ مقتدين بنوح الذي أنتم ذرية من حمل معه . .

{ وَقَضَيْنَا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ لَتَتَفَشَّرْنَ فِي الْأَرْضِ
مَرَّاتٍ مَّكِينٍ وَلَتَعْلَمُنَّ عِلْمًا كَرِيمًا * فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ أُولَاهُمَا
بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَّغَنَّا أُولَىٰ بِأُوسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا خِلَالَ
الدِّيَارِ وَكَانَ وَعْدًا مَّفْعُولًا * ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ
وَأَمَدَدْنَا بِآمٍ مَّوَالٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَاكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا * إِنْ
أَحْسَنْتُمْ أَحْسَنْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ
الْآخِرَةِ * لِيَسْؤُوا وَجُوهُكُمْ وَلِيَدْخُلُوا أَلْمَسَ جِدًا كَمَا دَخَلُوا
أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا مَا عَلَوْا تَتْبِيرًا * عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَنْ
يَرْحَمَكُم * وَإِنْ عُدتُّمْ عُدْنَا وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ حَصِيرًا
} . .

{ قَضَىٰ } يتعدى بنفسه إلى مفعول كقوله : { فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَىٰ الْأَجَلَ } ولما
ضمن هنا معنى الإيحاء أو الإنفاذ تعدى إلى أي وأوحينا أو أنفذنا إلى بني إسرائيل في
القضاء المحتوم المبتوت . وعن ابن عباس معناه أعلمناهم ، وعنه أيضاً قضينا عليهم ،
وعنه أيضاً كتبنا . واللام في { لَتَتَفَشَّرْنَ } جواب قسم ، فإما أن يقدر محذوفاً ويكون
متعلق القضاء محذوفاً تقديره وقضينا إلى بني إسرائيل بفسادهم في الأرض وعلوهم ، ثم أقسم
على وقوع ذلك وأنه كائن لا محالة ، فحذف متعلق قضينا وأبقى منصوب القسم المحذوف . ويجوز
أن يكون قضينا أجري مجرى القسم ولتفسدن جوابه ، كقولهم قضاء □ لأقومن . وقرأ أبو
العالية وابن جبير في الكتب على الجمع والجمهور على الأفراد فاحتمل أن يريد به الجنس ،
والظاهر أن يراد التوراة . وقرأ ابن عباس ونصر بن عليّ وجابر بن زيد لتفسدن بضم التاء
وفتح السين مبنياً للمفعول أي يفسدكم غيركم . فليل من الإضلال . وقيل من الغلبة . وقرأ

عيسى لتفسدن" أي فسدتم بأنفسكم بإرتكاب المعاصي مرتين أولا هما قتل زكرياء عليه السلام
قاله السدي عن أشياخه ، وقاله ابن مسعود وابن عباس ، وذلك أنه لما مات صديقة ملكهم
تنافسوا على الملك وقتل بعضهم بعضاً ولا يسمعون من زكريا . فقال ا : له : قم في قومك أوح
على لسانك ، فلما فرغ مما أوحى ا إليه عدواً عليه ليقتلوه فهرب فانفلقت له شجرة فدخل
فيها ، وأدركه الشيطان فأخذ هدبة من ثوبه فأراهم إياها فوضعوا المنشار في وسطها حتى
قطعوه في وسطها . وقيل : سبب قتل زكريا أنهم اتهموه بمريم قيل قالوا حين حملت مريم :
ضيع بنت سيدنا حتى زنت ، فقطعوه بالمنشار في الشجرة . وقيل شعياً قاله ابن إسحاق وإن
كان زكرياء مات موتاً ولم يقتل وإن الذي دخل الشجرة وقطع نصفين بالمنشار في وسطها هو
شعياً ، وكان قبل زكرياء وحبس أرمياء حين أنذرهم سخط ا والآخرة قبل يحيى بن زكرياء
وقصد قتل عيسى ابن مريم أعلم ا بني إسرائيل في التوراة أنه سيقع منهم عصيان وكفر لنعم
ا تعالى في الرسل وفي الكتب وغير ذلك ، وأنه سيرسل عليهم أمّة تغلبهم وتقتلهم وتذلهم
ثم يرحمهم بعد ذلك ويجعل لهم الكرة ويردهم إلى حالهم الأولى من الظهور فتقع منهم
المعاصي وكفر النعم والظلم والقتل والكفر با من بعضهم ، فيبعث ا عليهم أمة أخرى تخرّب
ديارهم وتقتلهم وتجليهم جلاء مبرحاً ودل الوجود بعد ذلك على هذا الأمر كله ، قيل وكان
بين آخر الأولى والثانية مائة سنة وعشر سنين ملكاً مؤيداً ثابتاً . وقيل سبعون سنة .
وقال الكلبي لتعصن في الأرض المقدسة ولتعلمن أي تطغون وتعظمون . .
وقرأ زيد بن علي علياً كبيراً في الموضعين بكسر اللام والياء المشدّدة . وقراءة
الجمهور { عَلاَوًا } والصحيح في فعول المصدر أكثر كقوله : { وَعَآتَوًا عُنُوتًا }
كـبـيـراً { بخلاف الجمع ، فإن الإعلال فيه هو المقيس وشذ التصحيح نحو نهو ونهوء خلافاً
فاللفراء إذ جعل